قصة من الانفال

اختطف الحرس الجمهوري زوجته فاختفت الى الابد

محمد عبد الله

في حياة كل مواطن عراقي ، قصة ، ان لم تكن قصصاً من الزمن الماضي و الماضي القريب وهذه القصة ، تبدأ مع الإعتقال والموت والسجن والمراقبة وتبقى قائمة فلو ذهبت الى اية منطقة من مناطق العراق ، تجد هنالك من يتحدث اليك ، ويستنطق احداثاً مضت اودت بحياة ابنائه ، او جيرانه ، او ابناء عمومته تبدأ القصة بالاعتقال وتنتهي بالموت ، واخفاء الجثة ، او تسليمها تحت جنح الظلام الى من يعنيهم امر الجثة وفي الهور مثلما في الانفال قصص كثيرة عن عوائل ذهبت ضحية ذلك النظام المباد ، الذي جعل من الموت وراثة لمريديه وايتامه ،

القابعين في الحجور المظلمة بحثاً عن ذريعة لقتل الابرياء، والتمثيل بجثثهم ورميهم في أي مكان، متوهمين ان بذلك يخلقون نظاماً مماثلاً لنظامهم السابق، او يعيدون ذلك النظام الذي ذبح على ايادي العراقيين، ورموه في مزبلة النسيان.

وهذه القصة، هي احدى الوقائع الحقيقية، لعشرات القصص المماثلة التي تحكي لا انسانية القائمين على المذابح التي حصلت في حملة الانفال ضد المواطنين العراقيين الكرد، في جبال ومدن وقرى كردستان.

لم تكن تعلم تلك العجوز الكردية التي تسكن مع ولدها وكنتها في قرية "كولة جو" ما بين قضاءي جلولاء، وكلار، ان القدر يخبئ لها في ذلك اليوم، ما لم يكن في الحسبان، ولم يدر بخلدها ان الظلم يصل حداً، يفقدها اعز ما تملك! حقاً كان يوماً اشبه بالليل في سواده حينما وقفت سيارة عسكرية امام بابها، وسيارات من ذات النوع امام ابواب غيرها من العجائز اللواتي لا حول لهن ولا قوة،غير الالتجاء الى الله في محنتهن دخل رجال الحرس الجمهوري الى بيتها، وسألوا عن فرج ابنها، لم تفهم ما يقولون، افهموها بالقوة والايماءات، ومن فرط خوفها، وهول الذي حدث ظلت ترتجف، فما كان من مداهمي البيت، سوى الامساك بها من يدها وكذلك الامساك بيد كنتها، واقتادوهما الى الحوض الخلفي للعربة، ولم تنس هذه العجوز وهي تعيش هول الصدمة، ان الشرف عزيز، وانها ابنة قرية عراقية تعيش على التقاليد الاجتماعية الصارمة، ومبادئ الدين الحنيف، فأمسكت بيد كنتها وهي بجانبها في السيارة، واحداهما تسأل الاخرى: ما الذي حدث؟ ولماذا اقتادوهما بهذه الطريقة؟ والى اين يذهبون بهما، هما ومجموعة اخرى من النساء؟ تسأل الكنة عمتها باللغة الكردية: جيمان كردوه؟ نعم اخذوهما ومجموعة نساء من القرية هذه، وتركوا ما تبقى من اهل القرية، يعيشون حالة حزن، وهم يذرفون الدموع ويفوضون امرهم الى الله مرت الايام والشهور والسنين، واصيب فرج بداء السكري، وظل يفقد من وزنه، ويتضاءل يوماً بعد آخر، ولا يعرف ماذا يفعل!

وبعد اربع او خمس سنوات، عادت المرأة العجوز لوحدها، ولم يبق منها سوى هيكل عظمي، يدلل عليها، وحينما سئلت عن كنتها، قالت: بقيت معي وانا ممكسة بها، ليومين او ثلاثة في سجن مظلم، وحينما تيقنوا باني لا اتركها، ضربوني على رأسي وفقدت وعيي، ومن يومها لا اعرف الى اين اقتادوها! سجنونها، قتلوها لا ادري! بعد حين ماتت المراة العجوز وهي في حسرةٍ على كنتها، وعلى ما جرى لها!

حينما قرأ القاضي رؤوف احكامه على المتهمين الذين أُدينوا في قضية الدجيل، تذكرت المرأة العجوز، وكنتها المفقودة وابنها.

اقول: لو كانت الكنة وعمتها العجوز حيتان، واستمعتا الى الحكم الصادر بحق هؤلاء، ماذا قالتا؟! اكيد ان فرجاً يبكي الان على زوجته الشابة، برغم مرور اكثر من ثمانية عشر عاماً على فقدانها، وعلى امه التي ماتت كمداً، وعلى جسده الذابل، لكن حينما يمسك بزهرة نرجس تفتحت للتو، فوق ربى العراق يمسح دموعه!

مذكرات اللحظات الاخيرة لسقوط نظام الطاغية

مزبان خضر هادي قائد منطقة الفرات الاوسط يلجأ الى التعاويذ ويتلقى التوبيخ من عبد حمود

تحقيق / علي الاسدي

اوكلت مهمة قيادة منطقة الفرات الاوسط ابان الحرب التي أسقطت صدام ونظامه الى مزبان خضر هادي عضو قيادة قطرية لحزب البعث المنحل والذي راح بدوره يبث رسائل الاعجاب عن موقف العشائر الى اركان قيادته في بغداد ولكن بعد اقل من اسبوعين من بدء العمليات العسكرية تعرض الى مفاجات متتالية ليصبح في موقف محرج وخطير مما حدا به الى مهاتفة القيادة العليا لتوضيح حقيقة الامر الواقع.

فقدان زمام الامور

حدثنا السيد (..) المخابر الخاص المرافق لمزبان قائد منطقة الفرات الاوسط كاشفاً لنا ادق التفاصيل في تلك الايام العصيبة التي عاشها حيث قال: تمركزنا في منطقة الكوت بعدها التقى مزبان بشيوخ العشائر طالباً منهم الولاء المطلق بعد ان حثهم على بذل الغالي والنفيس في معركة (ام الحواسم) وختم خطبته الرنانة بدعاء خص به (قائد الجمع المؤمن) ولم ينس ان يلمح الى تضييق الخناق على الاهالي من قبل كل الأجهزة القمعية ولم يجد الشعراء المساكين مناصاً من التظاهر بالولاء فكانت تلك المبالغات والمجاملات وردود افعال الخوف من قبل الناس المحتشدة تثير سروره وتعزز ثقته المتذبذبة بنفسه حتى اشتعلت شرارة الحرب وابتدأ مسلسل القصف الجوي المركز على القطعات ومقرات الوحدات التي تحت امرته ثم بدأ يشم رائحة الموت في مقره عندما تعرض الى قصف ليلي تناثرت الاشلاء من جرائه ففر كل الجنود والضباط متخفين بملابس مدنية بعد ان القوا السلاح ويضيف السيد (...) قائلاً: بعدها وجدنا انفسنا نحن الثلاثة انا المخابر والطباخ الخاص ومزبان لوحدنا فقد تخلى عنه اغلب معاونيه حتى الحماية تبخر نصفهم والاخرين سوف يتبعونهم الواحد تلو الاخر فبدأ مزبان عصبياً يثور لاتفه الاسباب فاقداً زمام اموره طلب منا البقاء معه وعدم تركه وكلفني بتامين اتصال مباشر مع القيادة في بغداد وكان على السماعة الطرف الاخر السكرتير عبد حمود فشرح له حقيقة الامر واخبره بتخلي العشائر عنه وهروب الجنود والضباط المستمر وترك المواضع الدفاعية فما كان من عبد حمود الا ان وبخ مزبان وحمله تهمة تجميل مواقفه السابقة بشأن تأييد العشائر وذكره بالعطايا السخية والاموال التي تقاضاها ليختم المكالمة بالتاكيد على (الصمود والثبات) ووعده بالمساعدات العاجلة وكان الاعلام ينقل مباشرة تطورات الحملة العسكرية ودخول القوات الامريكية الى ام قصر ووصولها الى مشارف الناصرية التي القت بظلالها على معنويات مزبان يعود المخابر لاتمام حديثه بالقول: اتفقت مع الطباخ على تركه عندما تحين الفرصة لنا في الوقت الذي كنت اعمل له الادعية والتعاويذ لعلها تجلب لهُ السكينة وتدفع عنه البلاء بأمر منه وعندما اتممت عملي هذا اسر لي يأمر خطير كشف فيه ان صدام حسين امره في لقائه الاخير باستخدام صلاحيته في اطلاق الصواريخ على مدينة النجف واستهداف العلماء بالذات لمنعهم من الافتاء ضد النظام لكن هذا الامر استحال تنفيذه بسبب ترك جنود وضباط كتيبة الصواريخ اماكنهم بعد قصف منصات الصواريخ من قبل قوات التحالف ولكن اطلقت الصواريخ من بغداد على اطراف النجف وخلفت اعداداً من القتلى والجرحى بين صفوف المدنيين.

الانتقال الى النجف

ثم انتقل السيد (....) الى مرحلة جديدة من الاحداث حيث قال: انتقلنا الى مدينة النجف وبعد اشتداد المعارك البرية فيها بين الحرس الجمهوري وقوات التحالف نقل لنا شهود عيان عن تطاير الرؤوس والاشلاء في الشوارع لذا تعذر علينا الاتصال بالوحدات العسكرية وفقد مزبان السيطرة على الامور فذهب مع من كان متواجداً من ضباط الامن الى مقام الامام علي (ع) وامر باخلاء الصحن الشريف من الزوار وطالبي الملاذ الامن وقفل الابواب فتجمهر الناس حول المقام بينما كانت القوات الامريكية تحاصر المكان ونتيجة لوقفة شجاعة لبعض الاناس الطيبين حال دون تدنيس الصحن الشريف بعد مفاوضات عن طريق وسطاء من اجل عدم اراقة الدماء ففر مزبان مع نفر قليل بواسطة سيارة بيكب (دبل قمارة) وكان يرتدي (تراكسوت احمر).

المحطة الاخيرة

اما السيد (..) الكعبي وهو شاهد عيان كان متواجداً في بعقوبة فقد تحدث قائلاً: اقتربت سيارة بيكب في اليوم الثامن من نيسان وتوقفت امام مدرسة ابتدائية تشغلها مجموعة من العوائل البغدادية النازحة وسرعان ما طلب رجال الحماية من السكان الرحيل عنها ليحل محلهم مزبان خضر هادي اخليت المدرسة خلال دقائق ليمكث فيها بعد ان امر بسحب قابلو كهربائي من المنطقة مما اثار حفيضة سكان المنطقة المحيطة بالمدرسة فقد تخوفوا من قصف جوي محتمل لو مكث في المدرسة مما ادى الى حالة نزوح للعوائل تاركين منازلهم وسرعان ما انتشرت شائعات كانها النار في الهشيم عن وصول القوات الامريكية الى مشارف بعقوبة وكان مزبان قد وصل الساعة العاشرة صباحاً ثم ما لبث ان غادر عصر نفس اليوم متحركاً هو وموكبه على اغلب الظن الى مزرعته الخاصة في بعقوبة بعدها سقط النظام ليصبح مزبان كما هو حال جلاوزة النظام السابق اسيراً بيد قوات التحالف بعد شهر واحد من فراره.

متابعة المسلسلات العربية

خيار العائلة العراقية في زمن العنف

بغداد/ المدى

لان الاستقرار صار بعيد المنال ولان النور صار حلماً لا يمكن ادراكه ولان النهار يعني المخاطر ولان ليل الشتاء طويل ولان وسائل الاعلام لا تعرض سوى مشاهد القتلى والتفجيرات واعداد الجثث المجهولة الهوية المرمية في شوارع بغداد اخذت العائلة العراقية تبحث عن أي شيء يمكن له ان يبدد وحشتها ويبعدها لبعض الوقت عن واقعها المر فوجدت ضالتها في متابعة المسلسلات العربية التي تذكرها بالحياة الاخرى.. حياة السلام والطمانينة والحب.

ام احمد (ربة بيت) ٦٠ عاماً قالت: سلوتنا الان صارت ان نتابع المسلسلات العربية ففيها ننسى ولو لساعة واقعنا المحزن ونبتعد عن اخبار القتل والتفجيرات التي ستقضي على ارواحنا ونحن احياء في بيتنا يتابع الجميع المسلسل الجميل (حضرة المتهم ابي) الذي يعرض حالات اجتماعية مهمة انه نوع من الهروب المتعمد من احزاننا التي لا تنتهي ونحن ما نزال على قيد الحياة.

ابو سيف (٣٧ عاماً) بغداد قال:- انها فرصة كبيرة من خلالها نشعر بان الحياة مستمرة وان هناك تطلعات لم نزل نريدها الجميع في البيت يتابع مسلسل (حضرة المتهم ابي) واعتقد ان لوجودنا الاجباري في البيت ليلاً دخل في ذلك وتوقفنا للاطلاع على الحياة بشكلها الطبيعي دخل كذلك هذا اضافة الى الابتعاد عن الاخبار التي لا تنقل لنا سوى مناظر القتل والدم والتفجيرات وحالات الاختطاف وغيرها.

عاصي صابر (٢٨ عاماً) بغداد قال:- المسلسلات العربية المعروضة من القنوات الفضائية تناسب العائلة العراقية وتوفر لها جواً نفسياً يبعدها عن المآسي الكبيرة كما انها تلائم الفئات العمرية جميعها اضافة الى انها تلبي ما تبحث عنه العائلة العراقية فليس من المعقول ان نبقى نستمع الى اخبار القتل وحوارات وتصريحات السياسيين التي تأزم نظرتنا الى مستقبلنا.

اذن.. العوائل العراقية وجدت في متابعة المسلسلات العربية التي تعرضها القنوات الفضائية نوعاً من خروجها عن واقعها المتعب وحلاً مناسباً للابتعاد عن ما تجلبه نشرات الاخبار من صور للقتل والتفجيرات وما تأتي به من تصريحات تساهم في إرباكها.

اخلاص منذر (٢٧ عاماً) بغداد قالت:- لقد مللنا تصريحات المسؤولين واخبار القتل المؤلمة ونريد ان ترتاح اذهاننا علينا ان نبتعد عن كل ما يمكن ان يساهم في انهيارنا وهذا ما تفعله نشرات الاخبار فينا انا وزوجي وطفلتي نتابع (بنت بنوت) وننتظره من اجل اتاحة الفرصة لانفسنا كي نشعر بالحياة التي اساء اليها العنف في بغداد كثيراً.

الحاج صبري (٦٥ عاماً) بغداد قال:- الليل طويل ومن اجل وضع حد للحوارات غير المجدية حول مستقبلنا والتي كثيراً ما تساهم في تشاؤمنا نلجأ الى متابعة المسلسلات التلفزيونية التي تعيد الينا بعضاً من توازننا وتعمل على اراحتنا من همومنا الكبيرة انا شخصياً احرص على متابعة المسلسل المصري (حضرة المتهم ابي) والمسلسل المعروف (دعاة على ابواب جهنم)

ام جميل (٤٠ عاماً) بغداد قالت:- نتابع مسلسل (بنت بنوت) ومسلسل (دعاة على ابواب جهنم) بالطبع نحن نحاول ان لا نعود للتفكير كل لحظة بواقعنا المأساوي وكذلك مد انفسنا بشحنات كافية للحياة بعد ان حاصرتنا اخبار القتل والتفجيرات والعنف في الاخبار التي تطل علينا كل لحظة في نشرات الاخبار والتي تكاد ان تنهي حياتنا.

مجالس العزاء في بغداد تقام في غير اماكنها

عامر السعدي

ظواهر عديدة برزت في العاصمة بغداد اثر عمليات العنف ولعل لاقامة مجالس العزاء في غير اماكنها احدى هذه الظواهر التي لجأ اليها البعض من اهالي بغداد في محاولة منهم للتمسك بالتقاليد الاجتماعية التي تعودوا عليها من جانب والوفاء لمن فقدوا ارواحهم من جانب آخر.

ابو تحسين بغداد قال:- لجأنا الى هذا الخيار مضطرين فالوضع الامني مخيف نعم ان ما نقوم به هذه الايام هو محاولة الوفاء لاقربائنا واعزائنا الذين فقدوا ارواحهم دون أي ذنب ارتكبوه بالطبع ان اقامة مجلس العزاء في داري جاء كحل وبديل لعدم استطاعة اقاربي ذلك لتكرار احداث العنف في مناطقهم السكنية فاتفقنا على هذا لتسهيل وصول المعزين الينا من جهة وتجنيبهم المخاطر التي نتوقعها من جهة اخرى.

شريف جابر (٤٠عاماً) بغداد قال:- قتل احد ابناء عمومتي على يد مسلحين في منطقته وبعد ان تاكدنا من ان الحادث ضمن عمليات الانتقام الطائفي لم يستطع اهله اقامة مجلس عزاء خوفاً من مخاطر اخرى فأتفقنا على اقامته في دارنا التي تقع في منطقة سكنية تشهد نوعاً من الاستقرار الامني.

شياع خضر (٦٠ عاماً) بغداد قال:- قتل ابن اخي وهو شاب دون ان نعرف الاسباب وراء ذلك ولان عائلة اخي تسكن منطقة تكثر فيها المداهمات من قبل القوات متعددة الجنسية فقد فضلنا اقامة العزاء في بيتي وعلى الفور اخبرنا جميع اقاربنا بذلك عن طريق الاتصال بهم عبر جهاز الموبايل.

حافظ توفيق (٥٢ عاماً) بغداد العامرية قال:- قتل في حادث ابن خالي على يد مسلحين في السوق الذي يعمل فيه ولأن المنطقة تشهد حالات عنف كثيرة ومتنوعة الامر الذي جعلنا نقيم مجلس العزاء في منطقتي (...) وتم ابلاغ جميع الاقارب والمعارف والحمد لله انتهت المراسيم بحضور الجميع ان ما فعلناه هو امر اجبرنا عليه وهو مؤسف ومحزن للغاية فحتى تقاليدنا لم نعد قادرين على ممارستها كما كان الامر في السابق.

علاء سالم (٣٢ عاماً) بغداد قال:- حضرت لحد هذه اللحظة ثلاثة مجالس للعزاء لاقارب ومعارف واغلبها تم اجراؤها في غير اماكنها الحقيقية الناس في بغداد تعمل تفكيرها دائماً للخروج من مأزقها المحزن وهي تتكاتف في كل مرة من اجل الحفاظ على بعضها البعض والاستمرار في تمسكها بصلة الرحم التي تجمعها انه وفاء كبير وتعاون رائع لتجاوز واقعها والابقاء على استمرار الحياة بافراحها واحزانها رغم المحاولات الكثيرة لايقافها.

ستار حميد (٢٨ عاماً) بغداد قال:- اثر تصاعد العمليات الارهابية توفى احد اقاربنا فقررنا من اجل ان يحضر الاقارب جميعهم ان نقيم مجلس العزاء في داري الواقعة في (..) وفعلاً اتممنا المراسيم بشكل مناسب وبذلك استطعنا تجاوز الازمة التي واجهتنا حينها.

فاضل عناد (٥٤ عاماً) بغداد قال:- هجرت من بيتي اثر تهديدات بالقتل وحصل ان قتل احد اخواني من منطقته التي تشهد حالات اغتيال وقتل وعنف كبيرة فقمت بالاتفاق مع الاهل على اجراء مجلس العزاء عند اختي الساكنة في (...) بالطبع هو شيء محزن ان لا تستطيع ان تقيم العزاء في داره ولكننا لا نملك خيار آخر كما اننا لسنا مستعدين لفقد اعزاء لنا مرة اخرى قدر الجميع هذه الخطوة وتم كل شيء وفق ما تعودناه في مثل هذه الحالات. ظواهر لا تعد ولا تحصى خرجت من معطف العنف في بغداد ومنها ما طال حتى مجالس العزاء.

اطفالنا يدفعون ثمن واقع يائس واهمال مريب!

بغداد/ هاشم حميد

لا استطيع ان اقف مكتوف اليدين امام بكاء واصرار ابنائي على اقتناء أي نوع من انواع اللعب مهما كانت فانها تلبي رغباتهم الطفولية هذا ما قاله رائد يونس ابراهيم واضاف متسائلاً كيف يتسنى لي ان ابعد اطفالي عن اجواء مشاهد العنف اليومي في الشارع.؟ الحل الوحيد هو شراء ما يحتاجونه من لعب وغيرها مما يطلبونه

الاعتراف بالواقع

ام خالد كان لها رأي اخر فهي تقول لا ينبغي ان نكون كالنعامة ولا نعترف بان الوضع الراهن صعب على العائلة فلا ضير من ان يتحمل الابناء جزءاً يسيراً من المسؤولية من خلال العمل ولكن في المكان المناسب ومع الشخص المناسب ايضاً.

وتقول خلود حسين (مدرسة): ان ثقافة المجتمع ثقافة محدودة تتمحور في خندق واحد (عندك قرش تسوه قرش) لذا ترى ان اغلب العوائل حريصة كل الحرص على ان يعمل جميع افراد العائلة بدون استثناء حتى الاطفال لذا فالمسؤولية مشتركة تتحمل وزرها كل مؤسسات الدولة ومؤسسات المجتمع المدني وذلك من خلال وضع برامج وبحوث ودراسات من شأنها الاهتمام والارتقاء بواقع الطفل اولاً ومن ثم العائلة.

حرص اكبر

اما الاستاذ بشار اسماعيل المرشد الاجتماعي في احدى المدارس فيقول: يجب ان نعترف بأن مسألة تشغيل الاطفال اخطر من الازمات التي تحدق بشعبنا واطفالنا خاصة هذه الايام كازمة الكهرباء او الوقود او ازمة البطالة لانها تمس شريحة مهمة من شرائح المجتمع وهم الاطفال لذا يجب علينا ان نكون حريصين جداً على ايجاد الحلول المناسبة لمشاكلهم من خلال الاستفادة من تجارب الشعوب الاخرى التي مرت بنفس المرحلة التي نمر بها الان.

ويقول الباحث الاجتماعي مظهر مخلف: ان من اخطر الازمات التي تعصف بواقعنا هذه الايام قضية العنف وتدني المستوى المعيشي للاسرة ما ينعكس سلباً على السلوك الاجتماعي لاطفالنا وكذلك تولد حالة من الاحتقان او الاضطراب الفكري لديهم وعدم الاستقرار وهذا يوفر فرصة امام انهزام السلوك المنضبط والطبيعي الى الفوضى والكسب اللامشروع.. لذا نمت ظواهر عديدة كتسول الاطفال وكذلك حالة عبث الاطفال في تلك النفايات لعلهم يجدون ما يستفيدون منه

(سفارات بائسة)

اما الاستاذ صلاح جاسم اختصاصي علم النفس والاجتماع فيقول: لقد نشأ اطفالنا في اجواء شعارات (سلاحك شرفك والعمل واجب وطني).. لذلك يجب علينا ان نغير هذه المفاهيم وندفع اطفالنا باتجاه الدراسة لانقاذهم من مستقبل مظلم.. وعلى كل مؤسسات الدولة والمجتمع المدني والمهتمين بهذا الشأن وكذلك الاسر البحث عن الوسائل الكفيلة بتخفيض تأثير لغة العنف والسلاح على اطفالنا ووضعهم في حالة آمنة ونعمل على اثراء الجوانب المعنوية في شخصية الطفل وتنمية المواهب المختلفة.